جرائد
١٥٠٥
٣٢٢٩٩

البعث الإسلامي

الكتب خزانة نادي الطلاب

المجلد السابع

العدد الأول ربيع الثانى ١٣٨٢ هـ سبتمبر ١٩٦٢ ء

الكتب خزينة ندوة العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية أدبية شهرية

تصدر فى الهند

رئيس التحرير محمد الحسنى

مدير التحرير سعيد الأعظمى

الادارة و التحرير : ندوة العلماء لكهنؤ ، الهند ،

الاشتراك السنوى: فى الهند وباكستان ٥ - روبيات
فى الخارج ، بالبريد العادى ٧ - روبيات أو ما يعادلها
فى الخارج، بالبريد الجوى ٢٠ - روبية ، ، ،

عنوان المجلة: دارالعلوم ندوة العلماء لكهنؤ ، الهند

ترسل الاشتراكات فى باكستان إلى العنوان التالى
دفتر ، فاران ، كيمبل اسٹريٹ كراچى ١

البعث الإسلامي

شهرية اسلامية ادبية

المجلد السابع

ربيع الثانى ١٣٨٢ هـ العدد الأول سبتمبر ١٩٦٢ م

الميثاق الوطنى

دعوة إلى المادية وتجرد من الرسالة النبوية

المادية لايتفاقم شرها و لايتعاظم أمرها إذا كانت سافرة صارخة أو كانت حرباً ظاهرة على القيم الخلقية والفكرة الدينية ، ولايشتد خطرها ولاتصعب مقاومتها كثيراً إذا كانت صادرة عن أعدائنا القدامى

10.0
٣٣٢٩٩

المعروفين بحقدهم على المسلمين ، أعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر ، و يحكون حولنا المؤامرات فى كل حين وفى كل مناسبة فنحن نعرفهم ، و نعرف أساليبهم وتطويرهم لهذه الأساليب كلما دعت إليه الحاجة و اقتضته الظروف .

كما أنه لاتيسر معرفتها والاطلاع عليها أو التكهن بنتائجها الخبيثة إذا تزينت بزى العلم والمنطق ، والحجة ، والبرهان و فلسفة التاريخ ، والتعبيرات الدقيقة الغامضة والمصطلحات العلمية ، والألفاظ المعسولة ، والتعبيرات الأدبية الجديدة الجميلة ، و " الأسلوب التنوعى " الذى لا يحدث فى نفس الانسان مجالا للريبة و الشك و موضعاً للنقاش و الجدال .

إن علم الاقتصاد والتطور التاريخى للانسان يتكفل إخفاء وجها البشع القذر بستار مزخرف جميل ساحر ، ستار العلم والمنطق ، والواقعية والتاريخ حتى لايطلع عليها المثقفون الأذكياء فضلا عن الجماهير الشعبية و عامة الناس .

ذلك هو شأن « الميثاق الوطنى » الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر أمام اعضاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية و به دخلت القومية العربية فى دور جديد أشد خطورة و أشد خطرا على مصر من قبل و العالم العربى من بعد .

إن هذا الميثاق الذى وضعه - كما أعتقد - كبار الأذكياء و العلماء و حملة الأقلام ، و أصحاب الصحافة البارعة ، و الدعاية الفنية المختارة و صهروه فى بوتقة العلم والتاريخ و التجربة الانسانية عبر القرون و مزجوا

السم بالدسم بحيث لايفطن له إلا القليل و لايستعظم خطره إلا الأقل، ولا يليق للرد عليه علمياً واقناعياً ، و إزاحة الستار عن وجهه الداخلى البشع المخيف إلا الأفذاذ من الناس ربما يعدون بالأصابع .

ألا إنها فتنة جديدة تتحدى الجبهة الاسلامية المناضلة والطبقة المثقفة الزكية فى العالم الإسلامى و تضحك على ، ذقونها و تطلب ردها .

إن هذا الميثاق - أقول بصراحة - يبهر أبصار الجماهير من ناحية وأسر عقول المثقفين من ناحية أخرى ، و استعان بالتعبير العلمى ، والأسلوب المنطقى بجانب الكلمات الرنانة و الألفاظ المزخرفة والتعبيرات الثورية ، وجاء على حين غفلة من الناس تطوح بكل ما عرفوها من معتقدات ومقدسات، و بكل ما حارب وناضل من أجله الآباء والأجداد ، وبكل ما رفعت رأس العالم العربى من أقدار إسلامية . ومثل عليا ، و تاريخ إسلامى كريم استحق به العرب الحياة فضلا عن الشرف والكرامة و الا كان مصيرهم ، مصير شعوب أخرى فى العالم عبثت به يد الفنا ، فغابت فى مجاهل التاريخ واختفت فى أغوار الماضى السحيق تروى أحداثها وقصصها عجائز البيت لتلهى بها الأطفال وتجلب إلى عيونهم الكرى بعد غروب الشمس .

إن هذا الميثاق تكتيك جديد لحوتسالية الجماهير وإبعادهم عن هدفهم الاسلامى الكبير من غير أن يشعروا به و يحسوا خطره ، وذلك لأنه يحمل طابعاً علمياً ، وطابعاً ثورياً ، وطابعاً تاريخياً ، وطابعاً عاطفياً فى وقت واحد ، ويستعين بكل هذه النواحى لاثبات ذاتيته فى براعة كاملة

و لباقة علمية نادرة ،

إنه يغرى الجماهير بسرد كلمة الدين وقدسية الدين هنا وهناك و هو أيضاً تكنيك خطير لصاحب الميثاق ، لانستطيع أن نفهمه كل الفهم ، وندركه تمام الادراك من غير أن نرجع قليلا إلى الوراء ،

كل من قرأ أحاديث عبد الناصر فى الصحف المصرية أو سمعها بالراديو ، لفت نظره شيئاً مهما ، وهو الايمان بالله وبرسالاته السماوية ، نغمة واحدة و إن قل استعمالها ، و ألفاظ محدودة تتردد فى كل خطاب تقريباً . فما هى الغاية من ورائها ؟

إن هذه الكلمات تخفف من حدة المادية الدارمة فى أحاديث عبد الناصر وخطبه ، وتسبغ هضم أفكاره السوداء للشعب المسلم البرئ الذى يتهلل وجهه كلما يسمع هذه الكلمة العذبة التى تسيطر على آماله و أحلامه ، ولاتزال تبعثه على التضحية والفداء .

إنه بهذه الكلمات البريئة قضى ببراعة فائقة منقطعة النظير على الطابع الاسلامى ، فمن يجرؤ على أن يقول أن تلك الكلمات تعنى إبعاد الناس خطوة خطوة عن الاسلام و رسالة محمد عليه الصلاة و السلام ، و ذلك فى تستر وخفاء وكتمان من غير أن يعلم الناس هذا السر ويطلعوا على هذا الشر الذى يراد بهذه الكلمات . و جملة أخرى أصبحت شعار هذه الثورة ، وهى « إرادة الشعب من إرادة الله » و مادامت إرادته من إرادة الله فليفعل ما يشاء ، ويصرف فى تخطيط حياته تصرف الحر و يبنيها وفق هواه على أساس المادة والقوة ، مثل الشعوب الأخرى التى فقدت ضميرها وأخلاقها وفقدت دينها ورسالتها ، لاعلى أساس من

التاريخ الاسلامى و المنهاج النبوى ، والشريعة الاسلامية و الحضارة الاسلامية .

و أعود إلى الميثاق ،

نفس هذا الشئ نجده فى هذا « الميثاق » فى أروع صورة ، وأبرع أساليبه ، فان الروح التى تهيمن على الميثاق من أوله إلى آخره روح مادية بحتة يبدو من دراستها أن واضع هذا الميثاق لا يحسب للاسلام والقيم الاسلامية الخالدة ، ونظامه وشريعته ، و دعوته ورسالته أيما حساب ، إنه يستعمل لفظ الأديان السماوية والرسالات السماوية و يتحرز دائماً عن استعمال لفظ الاسلام و الرسالة الاسلامية و الدين الاسلامى وذلك عن غرض فى نفس لايستساغ الجهر به فى هذا الوقت ، بل ربما إنه يحدث رد فعل عنيف تهيأت له أرض مصر منذ زمان ، فظلت تنتظر الوقت الصالح للانفجار ،

إن الغرض المباشر من هذا الميثاق هوبناء أمة جديدة ونظرة جديدة إلى الكون والحياة والانسان وانعاشها على أسس مادية صناعية اقتصادية أسس نبعث من التنازع الطبقى والتطور التاريخى لا على أسس و مبادئ وضعها الاسلام مع أنه أقرب إلى الفطرة . وأصلح للانسان فى كل زمان و مكان . وأضمن لحقوق القطاع العام والقطاع الخاص، والفرد والدولة، و رأس المال و الاستهلاك ، والمرأة و الرجل ، و كفيل بالحفاظ على الاتزان المطلوب بين فئات الشعوب المختلفة ، مثقفين و غير مثقفين، أغنياء وفقراء . وذلك مع المحافظة على الروح الاسلامية وتنميتها فى نفس الفرد ، و المحافظة على الشريعة الاسلامية و تطبيقها و تنفيذها

فى الدولة .

إن هذا الميثاق - إذا قبله الشعب عن رضاه و عن هـواه يحول من أمة عربية إسلامية تحمل رسالة الاسلام ، إلى أمة كأمة هنغارية أو مجرية أو يوجوسلافية أو يابانية لاتعرف غير النهضة المادية وتضحى كنتيجة حتمية لهذه العملية التاريخية (عمليـة خلق و تكوين) جميع خصائصها ومقوماتها ، وتنسى ذاتها وشخصيتها فى زحمة السباق المادى ، وتذيبها للأبد - لاسمح الله - فى النار والحديد و الدخان وتصبح أمة تقاس بالكيلوات لا بالأخلاق ، و توزن بالاغراق فى المادة لابالسمو فى الرسالة وحمل الدعوة الالهية و الرسالة النبوية إلى الانسانيـة المفلسة المحتضرة .

إن الأمة العربية أمة متعطشة إلى قوة خلاقة لصنع حياة جديدة ، حياة عزة وكرامة ، ورفاهة وكفالة ، وهناء ورخاء ، وهى أمة عصبية عاطفية مستعدة للسير وراء كل قائد ينادى بها إلى هذا الطريق ، و السر فى نجاح شخصية عبد الناصر والسر فى نجاح هذا الميثاق أنه لا يقدم للأمة العربية طريقاً للسير فحسب بل يزينه لها بالألوان والشعارات ، ويعضده بالعلم والمنطق والتاريخ ، والتجارب البشرية ، والتـطور التاريخى ، ثم يستغل هذا الوضع لتقديم نظام مادى إقتصادى جـديد لا مكان فيه للرسالة النبوية والشريعة الاسلامية من غير أن يشعر به أحد .

إنه يلغى « المجتمع الاسلامى » الذى ترتفع فيه رأية الاسلام فوق كل رأية ، وتسمو فيه شريعته ودعـوته فوق جميع الشرائع والدعوات ويكون فيه الايمان بالله . والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، والايمان

بمنهاجه ، والتفانى فى سبيله نقطة انطـلاق لسائر نشاطاته و تصرفاته ، وقاعدة عامة لطيرانه فى أجواء فسيحة من النهضـة والازدهار والرقى ، والانتعاش الروحى والثقافى و الاقتصادى ، القاعـدة التى طار منها أبو بكـر و عمـر فخررا الملايين من أنواع الاضطهاد ، و صنوف الاستبداد فى ظل كسرى وقيصر ، وطار منها عثمان و عـلى و معاوية وعمر بن عبد العزيز وهشام وسليمان ، و محمد الفـاتح وصلاح الدين و أورنك زيب وأقاموا مناراً عالياً للشجاعة والبطولة ، والحرية والحق والعدل والزهد والقناعة والايثار مع الايمـان بالله إيماناً لايتزعزع ، وحب الرسول حباً لايعدله شئ ، ومايوم حايمة بسر ،

إنه يبدو للقارى وهو يدرس الميثاق فى هدوء أن صاحب هذا الميثاق لم يدرس شيئاً من تاريخه ولم يعرف عظماءه وأبطاله، ولاغرابة فانه كان يقرأ فى شبابه - عهد تتكون فيه العقلية وتنضج فيه الآراء - مؤلفات لاسكى ونهرو و ..... وكان مولعاً به كما اعترف فى إحدى أحاديثه الخطيرة بمراسل « الصنداى تايمس » حتى إنه لم يسم عمـر رضى الله عنه الذى يجله الغرب أيضاً ، ولاأحداً من أبطال المسلمين وأعلامهم قديماً وحديثاً فهل نسى قوميته أيضاً بعد أن نسى دينه وتاريخه ؟

وأعود إلى الموضوع فاقول :

إن المجتمع الذى رسم صورته هذا الميثاق قد ضيق الخناق على الحياة الاسلامية والروح الاسلامية بمعناها الواسع ، إن الحيـاة الاسلامية لايمكنها أن تثمر و تورق و تزدهر فى ذلك المجتمع العربى التعـاونى الاشتراكى ولا أن تحافظ على وجودها الاسلامى وحيويتها زمناً طويلا

لأن الأسس التى قامت عليها ذلك المجتمع لايحمل طابعاً إسلامياً على الاطلاق، ولانرى فيه بصيصاً من نور الرسالة النبوية والدعوة الاسلامية ،

و يبدولى كأن هذا الميثاق وضع لأمة لم تعرف محمداً عليه الصلاة والسلام ، أمة مادية فى صميمها لم تعرف معنى الاسلام و لم تطلع على تاريخ الاسلام ، أمة لم تنزل فيها القرآن ، ولم تقم فيها دولة إسلامية مثالية كانت ولاتزال غرة على جبين التاريخ ، غير أنه فى لغة عربية فصيحة ، لغة القرآن والسنة والشريعة الاسلامية ، والتاريخ الاسلامى .

و ربما يقول القائل أن موضع هذا الكلام هو منبر المسجد أو صف الأزهر ولكننى أرفض هذا التأويل وهذا الدليل لأن الميثاق الذى يحدد صورة المستقبل لأمة إسلامية كأمة عربية ويرسم طريقاً عاما لنهضتها القادمة فى سائر المجالات لا يغفر له هذا الذنب ، و لايقبل منه هذا العذر .

والذى يؤمن بهذا التأويل ويقتنع بهذا الدليل ساذج وبسيط ومخدوع لايستطيع أن يعرف اتجاه الأحداث ، وتطور الأوضاع وحكم التاريخ ،

و بعد فانها إشارة خاطفة بل أقل من إشارة إلى تلك الأخطار الداخلية التى تكمن فى ذلك الطريق الذى رسمه « الميثاق » لامصر وحدها بل للعالم العربى أجمع .

و ربما نعود إلى الموضوع ونعالجه فى تفصيل وصراحة أكثر .

والله من وراء القصد ؟

محمد الحسنى

من الاسلام الى الجاهلية

الخطاب الذى ألقاه الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد بمكة .

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . . أما بعد

فانه يحلو لى ويسعدنى أن أتحدث عن موضوع الأخوة الاسلامية فوق العصبيات فى مكان انطلقت منه هذه الفكرة المقدسة وهذه الثورة التى غيرت مجرى التاريخ ، و فى أيام نودى فيها بهذا المبدأ من هذا المكان الذى نجتمع فيه ، سمع الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأعلى صوته (إن الله قدأذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، ألا كلكم من آدم وآدم من تراب لافضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى ، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

لقد كان من أعظم ما أتحف الاسلام به الانسانية الأخوة التى تقوم على أساس العقيدة والفضيلة والكفاية والكفاح تجمعها كلمة التقوى ، فكان فتحاً جديداً فى تاريخ الانسانية ، لقد كانت الجامعات و الأخوات تقوم فى الزمن القديم - ولاتزال - على أساس السلالة والنسل ، والوطن ، و اللون ، والحرفة والصناعة و اللغات و ذلك كل ما عرفه التاريخ ، ولاظلم أعظم من ذلك ، فكانت قوالب من حديد لامرونة فيها ، وكانت جدراناً تحول بين أعضاء الأسرة الانسانية لايخطاها الانسان ولايخرقها وإن كان عملاقا فى العلم والفضل و الذكاء و الصلاح ، و كأنما كتب على الأسر الانسانية أن تظل موزعة و مشتتة متناكرة لأنها تقوم على أسس خارجة من نطاقها باقية معها طول حياتها .

لقد كان هذا التوزيع ، وهذه الجامعات الضيقة الصغيرة أقوى عامل الهدم والتخريب والدمار والشقاء والحروب التى لاآخر لها ، وقد كانت كل جامعة من هذه الجامعات قد أحاطت نفسها بهالة من التقديس والتمجيد والقصص والأساطير وترى لنفسها فضلا على غيرها يخولها حق الاستعباد والاسترقاق و حق التدمير والتخريب تعتبر نفسها من أشرف المخلوقات وصاحبتها من أحط الحيوانات و تعاملها معاملة الدواب والكلاب فكانت مذابح هائلة وقسوة فظيعة وسخرة ظالمة ومآسى محزنة ومهازل مخجلة. ونشأت عصبيات فى داخل العصبيات وتلك طبيعة العصبيات التى تقوم على أساس غير المبادئ الصالحة و تقسمت الجامعات على نفسها و تكونت فيها جامعات صغيرة ثم تكونت فى هذه الجامعات الصغيرة جامعات صغرى قد لاترى إلا بالمكبرة . وحجتها وأساسها حجة

الجامعات الأم وأساسها فسلالة أفضل من سلالة والوطن الخاص أفضل من وطن وأبناء قرية أفضل من أبناء بلد وأبناء بلد أحب من أبناء مديرية وأبناء مديرية أعز من أبناء ولاية ، و هذا كله ما يسوغه منطق الوطنية وتغرى به فلسفة تقديس السلالة أو تمجيد الوطن، ولون إذا خف فى السواد كان أفضل من لون قاتم وأسود حالك أو سواد وإذا أغرق فى الحلكة كان أفضل وأدل من سواد يشبه السمرة، وأبناء الجد الخامس أفضل من أبناء الجد الثامن والهذايون والناطقون بلغتهم أكرم من بنى طى و بنو عبدشمس أفضل من بنى عبد الدار و بنو مخزوم أحق بالسيادة من بنى تميم، ولكل حجة تعتمد على المآثر و الروايات وعلى فلسفة فضل الدم و اصالة النسب وحسن الأرومة وطيب الأعراق وفصاحة اللهجات وهكذا كل حرب على صاحبه . يعامله معاملة العدو البغيض والأجنبى الغريب وأصبح من العسير الشاق إزالة هذه الحواجز وجمع هذه الألوية كلها تحت لواء واحد لواء قبيلة واحدة أو شعب واحد فضلا عن الجامعة الانسانية التى لم يكن للانسان القديم أن يحلم بها أو يفكر فيها وأصبح الانسان يائساً من مستقبله لا يفكر فى أفضل من هو ما فيه ، لايسمح المجتمع الهندى و دستوره الذى وضعه الكهنة و رجال الدين أن ينتقل الانسان من حرفة إلى حرفة أو من طبقة إلى طبقة ولايسمح القانون الايرانى أن ينتقل إنسان فى الامبراطورية الايرانية من مجتمع إلى مجتمع آخر و من مستوى إلى مستوى آخر .

وليست الكفايات والمواهب والكفاح فى سبيل عقيدة و فضيلة هى القنطرة التى يصل بها الانسان إلى السعادة وليست فى الحقيقة قناطر وجسور

يتدرج عليها الانسان إلى الرقى والسعادة والتفوق بل هى رافعات تحمل الانسان من الحضيض إلى السمو طفرة واحدة لا دخل فيها لارادته ولاسعيه فانشأ ذلك فى الانسان اليأس والتشاؤم و عطل ذلك قواه و أخمد فيه جذوة الذكاء و الطموح و التنافس الذى يرجع إليه الفضل فى اشتعال مواهب الانتاج فى كل فن من الفنون وفى كل جانب من جوانب الحياة فصيره معلوم محتوم و حوله خط محدود مرسوم لا يتجاوز ولا يتخطاه ، مهما أوتى من النبوغ ومهما تحلى به من الفضائل ومهما تخلق به من أخلاق وفواضل ، ومهما كافح فى سبيل المجد فابن طبقة هو ابن طبقة وصاحب حرفة هو صاحب حرفة والأسود هو الأسود والأبيض هو الأبيض و جاهل بنى ربيعة أكرم من عالم بنى تغلب وكلب بنى ذويب أفضل من الجواد فى بنى أسد فكلها حظوظ وجدود جاءت و انحدرت من آباء وجدود .

جاء الاسلام وضرب هذا الأساس وأسس مجتمعاً جديداً على أساس الايمان والعقيدة وعلى أساس الصلاح والفضيلة و على أساس الكفاية والكفاح ونادى بأحقية الانسان وبكرامية الانسان وبجدارة الانسان لكل شئ فمرة قال (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) و مرة قال (و لقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر و رزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ومرة نادى بقوله (يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم

عند الله أتقاكم) ومرة جهر (فلاأنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون) و أعلن أن العمدة والفارق والأساس هو السعى والكفاح ، و قال (ليس للانسان إلا ما سعى و أن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) ، وإن الفرق فى النتائج والجزاء أساسه الفرق فى السعر والجدارة ومقدار الكفاح فقال « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات » ، وإن السعادة و الحياة الطيبة مضمونة لمن أوفى شروطها وأدى حقوقها من أى جنس أو سلالة كان فقال « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، وصرح بأنه ليس الأمر بالأمانى والأحلام وبمجرد الانتساب إلى أجداد وأديان إنما هو العقيدة الصحيحة والعمل الصالح واجتناب عن المعاصى ، و إن قانون الجزاء الالهى عام شامل لايميز بين جنس وجنس وسلالة وسلالة وديانة ، فقال « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجزبه و لايجدله من دون الله ولياً ولانصيراً » .

على هذا الأساس العادل المعقول قام أفضل و أجل و أكمل مجتمع عرفه التاريخ هو المجتمع الأول الذى أرسى قواعده الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، و إن المقياس فيه التقوى الذى يجمع بين معانى الكفاية والكفاح وكان ذلك مقياس الفضل و الزعامة .

والرئاسة والشرف وهو آخر مجتمع حكم فيه هذا المقياس وقام المجتمع كله على هذا الأساس، وسمع الناس للمرة الأولى المجتمع العربى القائم على أساس العربية والفخر بالمضرية والقرشية سمعوا سيد مضر

يقول لفارسى تداولته الأيدى بالاسترقاق و السخرة « سلمان منا أهل البيت » وسمعوا أمير المؤمنين الذى يهابه كسرى و قيصر يقول لعبد حبشى أجحف به الضرب واشتدت به الاهانة « سيدنا بلال »، ويعظم سالماً مولى أبى حذيفة ويراه جديراً بالخلافة و يقدم موالى قريش لسابقتهم فى الاسلام وحسن بلائهم فى الجهاد على سادة قريش و غطارفتها أبى سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل .

ولأول مرة فى التاريخ ماتت فى هذا المجتمع الذى كان يتسع و يتضخم يوما فيوما العصبيات الجاهلية القائمة على أساس النسب و الدم والعرق واللون والوطن واللغة وعد الهتاف بها والتناصر على أساسها ومحاولة إحيائها رذيلة وإفساداً و رجعة إلى الجاهلية ورجعية ، فقال القرآن « إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية » ، و قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا إلى عصبية و ليس منا من قاتل على عصبية و ليس منا من مات على عصبية » ، و قال وقدسمع الأنصار يقولون ، يا للأنصار والمهاجرين يقولون يا للمهاجرين أتركوها فانها منتنة ، وقدجرى على لسانه وهو مورد الوحى ومعدن الطهر كلمة لم تجر على لسانه فى موضوع آخر فقال ، و لم يقل مثل ذلك قبل ذلك ولابعد ذلك ، من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن أبيه ، ولا تكنوا وتلك نهاية لاينتظر من نبى أدبه ربه فاحسن تأديبه أكثر من ذلك .

وهكذا ظل المجتمع الانسانى قائماً على أساس التقوى و على أساس

المبدأ و العقيدة يتحكم فيه مقياس الكفاية و الكفاح حتى جاء عصر القوميات المشئوم فى أوربا كانت مرحلة طبيعية فى حياتها و مجتمعها ، فلما انهارت الكنيسة اللاتينية باخطائها و جناياتها و سفاهتها و تدابير الحركة الاحتجاجية التى قام بها « لوثر » وبالنهضة العلمية والعقلية التى انبثقت فى القرون المظلمة ، أصبحت الأمم الأوربية قطعاناً من البشر لاتربط بينها جامعة دينية أومركز روحى ، فقد فقدت النصرانية المتعثرة سلطانها على النفوس والرؤوس فلجأت أوربا بطبيعة الحال إلى قوميات مختلفة تربط بين أفرادها المتشتتين الضائعين ، وكانت بضاعة المفلس ومأوى الطريد وألهبت بها الشعور السياسى والشعور بالواجب وقود الدفاع عن البلاد والحمية التى تعتمد عليها وتلتجئ إليها فى الأزمات ، و إنها ولاشك حصن الأمة التى نضب فيها معين العقيدة والروح و أفلست فى مقومات الحياة وانهارت فى الأخلاق واستعانت أوربا الحائرة المضطربة بهذا السلاح حيناً من الدهر فاستعمرت بقوتها أقطاراً شرقية سلطت أبناء جنسها على ركاب المحكومين وكانت هذه القومية مصدر قوتها وسرتوحدها وانتظامها فى سلك واحد حتى بدأت هذه النزعة تعمل عملها فى الداخل وتبيض وتفرخ ، وانقسمت أوربا نفسها فى معسكرات قومية ، فانكلترا قومية ومعسكر وألمانيا قومية ومعسكر وفرنسا قومية ومعسكر والمجر قومية ومعسكر والنمسا قومية ومعسكر و هكذا ، وجاء اليوم الذى لا مفر منه اليوم الذى تحاربت فيه هذه المعسكرات على نفس أساس القوميات فكانت حروب قبل الحرب العالمية الأولى و لم تكن حرب مبادئ وعقائد، إنها كانت حرب قوميات إنها دعت إليها و حملت عليها النعرة القومية

والطموح القومى و تلك طبيعةالفاسفة القوميـــة اذ انه نضجت و اختمرت ولا تلوم الشجرة على ثمارها الطبيعية .

وجاءت الحرب الأولى بويلاتها وما يوم حليمـــة بسر .

و لماخرجت أوربا من هذه الحرب الأولى مثخنة الجراح منهوكة القوى مرهقة بالديون والتبعات بدأ العقلاء فى أوربا يفكرون و يتحدثون على أساس أوسع من القوميات والوطنيـــات ، وبدأ الحديث من ذلك الحين عن الانسانية والآفاقية ، ولكنه حديث خافت محدود كأنه مصباح راهب ضعيف يترآمى من بعيد فى صحراء مظلمة .

وجاءت الحرب الثانية المدمرة ، ولم تكن إلا على أساس ما أثارته القومية المتطرفة من الطموح المسرف والمجد الكاذب والمغالطات الخداعة و الدعايات الكاذبة واستفزاز الشعور القـــومى ، و لما وضعت الحرب أوزارها باضطرار من بعض واختيار من بعض قويت حركة الـــكراهة والتذمر من القومية ، وأصبح نوابغ الفكر الحديث والمفكرون الأحرار ينكرون عليها فى صراحة وقوة ، ويدعون إلى الجامعة الانسانية والرابطة العالمية فى علم واستدلال ، ويؤلفون فى ذلك كتباً قيمـــة ، ومنهم من يقوم بجولة فى الشرق والغرب ويلقى محاضرات تقابل بالترحيب و تقدير عظيم . أذكر منهم العالم الانكليزى الشهير و المؤرخ الكبير توينبـــى و محاضراته فى هذا الموضوع لايزال يسمع لها دوى وصدى فى الأوساط العلمية .

و نبدأ مع الأسف من حيث تنتهى أوربا فقد ولى عصر القوميات هناك وبدأ فى شرقنا الاسلامى ، وكنا دائماً فى غنى عن هذه القوميات

والمعصيات ، بل كنا وحدنا حاملى رأية الثورة على هذه النزعة التى هى أثر من آثار الاجتماع الانسانى القاصر الذى لم يبلغ الرشد ، وإن كان علينا أن نحارب هذه النزعة الممزقة لوحدة الانسان، المفرقة لشمل الأديان و كان العود إليها أو الدعوة إليها عوداً إلى عصر الجهالة والشقاء ، و رجوعا بالانسانية والمدنية إلى الوراء . وكفراً بنعمة الله التى أنعم الله بها على المسلمين وأغناهم بها عن روابط محدودة ضيقة مصطنعة مفرقة بين الأمم، باعثة للأنانيات، مثيرة للشهوات، سطحية لاتملك قداسة عقيدة ولا قوة عاطفة ، ولاتستطيع أن تجمع بين شعوب مختلفة أو بلاد متفرقة ، وقدثبت إخفاقها فى محاولة الجمع بين شعوب تتكلم بلغة واحدة و تدين بدين واحد، وتجتمع فى قضايا كثيرة و عددها مشترك . أما قوة الجامعة الاسلامية ومتانة الأخوة الاسلامية فلا تحتاج إلى دليل . والتاريخ كله ملئ بمعجزات هذه القوة و روائعها . قداستطاع صلاح الدين الأيوبى وهو زعـــيم الجهاد الاسلامى، وكردى من أصل عجمى أن يجتمع تحت رأيتـــه العرب والأكراد والمصريون والسوريون والسودانيون و غيرهم من الأجناس و سلالات وأثار فيهم روح النجدة الاسلامية و الحماسة الدينية . واستماتوا فى سبيل الشهادة ودفع الصليبيين عن الأراضى المقدسة، و لم تظهر ثورة أو جموح أو عصيان أو ضجر فى جانب من جوانب معسكره العالمى العظيم الذى كان يجمع خليطاً من البشر وهيئة من الأمم، وليس الرابطة بينهم إلا العقيدة والحماسة الدينيـــة . حسبنا هذا المثال الرائع الذى لايزال العالم الاسلامى يغتبط به .

والذى يحدث العرب باحتضان هذه الديانة الجديدة أو الفلسفـــة

الجديدة يسئ إليهم إساءة لانظير لها فى التاريخ ، فانه يحاول أن يقطع صلتهم عن هذا العالم الفسيح الذى يدين بحبهم و يؤمن بامامتهم إرضاء لأقلية غير مسلمة تعيش فى العالم العربى، والأقلية المسلمة فى الهند وحدها تبلغ عدد أفرادها أربعين مليوناً تفوقها بأضعاف فضلا عن عدد المسلمين فى باكستان و إندونيشيا وفى غيرهما من الأقطار ، و تلك مساومة خسارة العرب فيها محققة واضحة ، ويعطى دعاة القومية المتطرفة فى الهند وفى تركيا و فى غيرهما من البلاد، ويعطى دعاة الجاهلية فى بلاد شرقية كثيرة حجة يقيمونها على المسلمين الذين لايزالون متمسكين بالجامعة الاسلامية ولايزالون ينظرون إلى الجزيرة العربية كمركز روحى ومصدر إلهام، ويفت فى عزم المسلمين ويحرج موقفهم مع دعاة القومية فى بلادهم ويفقد العرب شخصيتهم العالمية الرئيسية التى منحهم الاسلام إياها والتى تمتعوا بها إلى مدة طويلة ، ويجعلهم ينطوون على نفوسهم ويعيشون فى عزلة عن العالم وعن قضاياهم الكبرى ثم ينقسمون على نفوسهم و يتوزعون فى معسكرات صغيرة و تنشأ قوميات فى ضمن قوميات و وحدات فى بطن وحدات ، وتلك طبيعة القومية لا تستطيع أن تسد أبواب القوميات الصغيرة بل هى التى تفتحها و تمهد العقول و تثير العواطف للاستقلال واستغلال نفس المبدأ ونفس الطريق .

لقد كان غير متوقع و أبعد من كل قياس أن تنهض دعوة القومية والعصبيات الجاهلية فى بلد عربى ، و هو البلد الذى تزعم الدعوة الاسلامية ودعا إلى الجامعة الاسلامية ، ولكن إذا وقع هذا البعيد الغير متوقع فعلى الجزيرة العربية ، و على بلد هو مهبط الوحى

ومطالع النور ومعقل الاسلام أن يحارب هذه الدعوة الهدامة بكل قوة وعزمه و أن يجند لذلك كل ما أوتى من قوة ووسائل وأن يعتبره أفضل جهاد و أعلى عبادة فى هذا العصر ، وأن لايكون ذلك خاضعاً لمصالح سياسية وعلاقات دولية أو أوضاع محلية ، فكل ذلك عارض طارئ بل يكون ذلك فى سبيل العقيدة والمبدأ قياما بالواجب وأداء للأمانة ووفاءاً بالحق ومحاربة للباطل وجهاداً فى سبيل الله ، ونحن المسلمين فى خارج العالم العربى ، لانرضى ولانقبل أن تنتشر الثورة والدعوة إلى الجاهلية فى معسكر محمد صلى الله عليه وسلم و عاصمته ، و يجب أن لا ترضى بذلك الجزيرة العربية والأقطار العربية ، و أنا أؤمن بأن النصر مضمون والفتح موعود إذا صحت النية وأخلصت القلوب ، (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ، والقومية فى كل جانب من جوانب الأرض سفينة تنخرت و تفككت ألواحها ، و تناثرت مساميرها وتحارب رباينها و كتب عليها الغرق فلايجوز للعرب أن يلتجئوا إلى هذه السفينة المضطربة المشئومة ، وعندهم سفينة النجاة التى تسع العالم كله ، وتوصل الناس جميعاً إلى شاطئ السلام .

الاسلام ... ونظام الطبقات

للأستاذ محمد قطب

« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق . . » (١)

« و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات . . » (٢)

أليس هذا وارداً فى القرآن أيها المسلمون ؟ فكيف تزعمون بعد هذا أن الاسلام لايعترف بنظام الطبقات ؟

* * *

نحتاج أولا أن نعرف ما هو نظام الطبقات . لنعرف إذا كان الاسلام يبيحه أم لايبيحه .

---

١ - سورة النحل . ٧١

٢ - سورة الزخرف . ٣٢

فاذا استعرضنا تاريخ أوربا فى العصور الوسطى مثلا وجدنا طبقات النبلاء أو الأشراف ، ورجال الدين ، والشعب ، طبقات متميزة محددة المعالم ، يختلف بعضها عن بعض ، بحيث لايخطئ الانسان معرفتها أحياناً بمجرد النظر .

فرجال الدين لهم ثيابهم الخاصة التى تميزهم . وكان لهم فى تلك العصور سطوة كبرى ، فقد كان البابا سلطة مناوئة للملوك والأباطرة ، يريد أن يزعم أنه هو الذى يمنحهم السلطان على الشعوب ، و يريدون هم أن ينسلخوا من سلطته ويستقلوا بأنفسهم ، و كانت لهم كذلك أموال طائلة من الأوقاف التى وقفها عليهم المتدينون ، و من الاتاوات التى يفرضونها هم على الناس ، بل كانت للكنيسة جيوش كاملة فى بعض الأحيان .

أما الأشراف فكانوا طبقة تتوارث الشرف بعضها عن بعض ، بحيث يولد الطفل فاذا هو شريف منذ مولده ، ويظل شريفاً حتى يموت ، بصرف النظر عن الأعمال التى يقوم بها فى حياته . وقربها أو بعدها من هذا الشرف المزعوم ! أما امتيازاتهم فكانت فى عهد الاقطاع سلطاناً مطلقاً على « الشعب » الموجود فى الاقطاعية ، كانوا هم السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية . و كانت أهواؤهم و نزواتهم هى القانون الذى ينفذ على هذا الشعب ، وكانت تتكون منهم المجالس النيابية التى تشرع للبلاد ، فكانت تشريعاتهم بطبيعة الحال تهدف إلى حمايتهم و الاحتفاظ لهم بامتيازاتهم ، وإضفاء صفة القداسة عليها .

أما الشعب فهو ذلك الهمل الذى لاحقوق له ولا امتيازات ، وإنما

عليه الواجبات كل الواجبات ، و كان يتوارث الذل والفقر والعبـودية جيلا بعد جيل .

ثم حدثت تطورات اقتصادية هامة فى أوربا أنشأت طبقـة جديدة تنازع الأشراف امتيازاتهم ومكانتهم ، هى الطبقة البورجوازية ، وبقيادة هذه الطبقة وعلى أكتاف الشعب ، قامت الثـورة الفرنسية التى ألغت — فى الظاهر — نظام الطبقات ، و أعلنت — نظرياً — مبادئ الحرية والاخاء والمساواة .

وفى العصر الحديث قامت هذه الطبقة الرأسمالية مقام طبقة الأشراف القديمة ولكن من وراء ستار ، و مع بعض التعديلات التى اقتضـاها التطور الاقتصادى ، ولكن الجوهر لم يتغير ، فهى طبقة تملك المـال و السلطان والقوة التى تسير بها دفة الحكم ، وعلى الرغم من مظاهر الحرية التى تتمثل فى الانتخابات « الديمقراطية » فان الرأسمالية تعرف طريقها إلى البرلمانات ودواوين الحكومات ، وتنفذ بوسائلها المـلتوية ما تريد تنفيذه تحت مختلف العنوانات .

بل ما يزال فى إنجلـترا — أم الديمقراطية كما كان يقال لنـا — مجلس يسمى بصفة رسمية « مجلس اللوردات » ، و ما زال فيها قانون إقطاعى يقضى بأن يحرم جميع الأبناء والبنات من الميراث فيما عدا الابن الأكبر ، منعاً لتفتيت الثروة ، أى محافظة على ثروات « الأسر » الاقطاعيين فى العصور الوسطى .

هـذا هو نظام الطبقات ، يتخلص فى حقيقة أساسية : هى أن

الطبقة التى تملك المـال تملك السلطان ، تملك وسائل التشريع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فتشرع لحماية نفسها ، و لابقاء الشعب خاضعاً لسلطانها محروما من كثير من حقوقه إرضاء لشهوات الطبقـة الحاكمـة .

فاذا أدركنا ذلك فهمنا على الفور أنه لا يوجد نظـام طبقات فى الاسلام .

فليست هناك أولا مزايا تؤخذ بالميراث كما كان الحال فى طبقـة الأشراف فى أوربا ، و نخرج من حسابنا بطبيعة الحال وراثة العرش و و قيام طبقة من الأمراء والنبلاء فيما يسمى « الأسرة المـالكة » ، فذلك كله ليس باسلام ، و وجوده فى الاسـلام لا يزيد عن وجود مسلمين يشربون الخمر أو يلعبون الميسر أو يتعاملون بالربا ، و مع ذلك لا يمكن أن يزعم أحد أن الاسـلام أباح الخمر و الميسر و الربا فى يوم من الأيام .

وليس هناك ثانياً قوانين تحتفظ بالثروة فى يد قوم معينين يتوارثونها ولا تخرج من أيديهم ، فقد كره الاسلام ذلك وقال صراحة : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ، و وضع من جهة أخرى من قوانين لتفتيت الثروة بصفة دائمة ، وإعادة توزيعها فى المجتمع بنسب جديدة على الدوام ، تلك هى قوانين الميراث التى توزع الثروة على عدد كثير من الأشخاص ، فلا يمر جيل حتى تكون قد تفرقت بين الناس ، و الحالات النادرة التى يرث فيها الثـروة كلها ولد واحد لاإخـوة له ولا أقرباء ، حالات شاذة لايجوز الحكم بها ، ولا اعتبارها ، قاعـدة ينتقد النظام

كله من أجلها ، ومع ذلك فان الاسلام لم يتركها تمر اعتباطاً ، فقدجعل فى التركة نصيباً للمحرومين من غير أولى القربى يشبه ضريبة التركات فى العصر الحديث ! « و إذا حضر القسمـــة أولو القربى واليتـــامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا » (١) . وجعل من حق ولى الأمر فى كل وقت أن يتصرف فى مثل هذه الثروات بمـايمنع الضرر المنتظر من تركها فى يد فرد واحد ، وبهذه الطريقة يعالج الاسلام تكتل الثروات ، و يجعل أصحاب الثروات أفراداً لاطبقـــة ، أفراداً لايلبثون أن يجتمعوا حتى يتفرقوا ، بحكم توزع الثروة على نسب جديدة، و التاريخ الواقعى يشهد أن الثروات كانت دائمة الانتقال فى المجتمـــع الاسلامى ، وأن الغنى اليوم قديفتقر غداً ، والفقير اليوم قد تهبط عليه الثروة من أى سبيل ، فلا تقوم الحواجز المصطنعة بين أى شخص وبين الغنى أو الفقر حسب تصرفه الخاص وملابسات حياته الخاصة .

وأهم مايعنينا إثباته هنا هوما ألمعنا إليه فى الفصل السابق (٢) من أن التشريع الاسلامى ليس ملـكا لطبقة معينة ، و لايملك أحد أن يشرع على مزاجه فى الدولة الاسلامية ، لأن الشريعة السماوية المنزلة هى التى تحكم الجميع بلا محاباة لأحد ولاظلم لأحد ، ومن هنا ينتفى بتاتاً وجود « طبقات » فى الاسلام ، لأن وجود الطبقات مرتبط إرتباطاً لاينفصم بمزية التشريع ، فاذا بطلت هذه المزية ، ولم يكن فى وسع أحـــد أن يصنع لنفسه قانوناً يحمى به مصالحه على حساب شخص آخر ، فـاذا بقى من نظام الطبقات .

---

١ - سورة النساء ، ٨ ٢ - « الاسلام والملكية الفردية » فى كتابه « شبهات حول الاسلام »

° ° °

و إذن فـا معنى الآيتين اللتين أثبتناهما فى مقدمة هذا الفصل ؟

إنهما لاتزيدان على إثبـــات الأمر الواقع فى كل الأرض ، فى ظل الاسلام وفى غير الاسلام : أن الناس متفاوتون فى المراتب والأرزاق ، وإلا فلنأخذ روسيا مثلا ، هل جميع الناس هناك يتناولون أجراً واحداً، أم أن بعضهم مفضل على بعض فى الرزق ؟ وهل جميعهم هنـاك رؤساء أم جميعهم هناك مرؤوسون ؟ أو هل جميعهم ضباط أو جميعهم جنود ؟ أم أن بعضهم قد رفع درجات فوق بعض ؟ إن هذا أمر لامعدى عنه ، وهو حقيقة واقعة فى كل مكان ، والآيتان لاتشرحان سبباً معيناً للتفضيل، ولاتقيدان الناس كذلك بسبب معين ، فهما لا تقولان إن التفضيـــل بسبب الرأسمالية أو بسبب الشيوعية أو بسبب الاسلام ، ولاتقولان إنه يكون دائماً عادلا بمقاييس الأرض أو يكون دائماً ظالماً ، . . ولاشئ من ذلك كله ، إنهما فقط تقولان إن هذا هو الأمر الواقع فى كل مكان ، و كل ما على الأرض بطبيعة الحـــال داخل فى إرادة الله ، وإلا هل يعتقد الشيوعيون أن نفوذ الله — سبحانه — محدود بالعالم الاسلامى ، كما كان بنو إسرائيل يعتقدون فى سذاجة غبية أن نفوذ الله محدود بمصر وفلسطـين ، و أن ما يقع فى بقيـــة الأرض خارج عن نفـــوذ الله و إرادة الله ؟ !

° ° °

شئ واحد من نظام الطبقات كان فى الاسلام بتصريح القرآن، هووجود طبقة الأرقاء، ولكنا تحدثنا (١) عنهم بما فيه الكفاية، وقلنا إن الرق كله كان نظاما موقوتاً تفرضه ظروف لم يكن الاسلام يملك التخلص منها فى ذلك الحين، فهو ليس أصلا من أصول المجتمع الاسلامى ولكنه ضرورة عارضة.

ومع ذلك فكيف كان يعامل الاسلام الرقيق ؟

لسنا فى حاجة إلى تكرار ما قلناه فى فصل الرق، ولكنا نذكر الحادثة الشهيرة التى وضع بها عمر أساس « الطبقات » فى الاسلام !

تلك قصة الشريف الذى ذهب للحج، يجرر أذيال الكبر، ويتيه على عباد الله فى عنجهية جاهلية لم يطهره منها دخوله - بالاسلام - فى الاسلام : « قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ». وفى أثناء الطواف وقعت قدم « عبد » على طرف ثوبه الطويل الذى تتمثل فيه العنجهية والكبرياء. فما كان من الشريف إلا أن لطم العبد على وجهه جزاء وفاقه ! فذهب العبد إلى عمر يشكو له فعل الشريف. فهل قال له عمر : « معلهش ! » فهذا شريف وأنت عبد، هو من طبقة وأنت من طبقة، هو يملك من الحقوق مالاتملك ؟ هل استصدر عمر تشريعاً يحمى به طبقة الأشراف من أن يدوس على ثيابها العبيد، أو تشريعاً يلزم العبيد بقبول لطمات السادة ؟

كلا، إن ماحدث معروف فى التاريخ : فقد أصر عمر على القصاص على أن يلطم العبد هذا الشريف المتكبر ليرده إلى شريعة الله التى لاتفرق

(١) إقرأ « فصل الاسلام والرق » من كتابه « شبهات حول الاسلام ».

بين بشر وبشر فى التشريع، حتى ولوفرقت بينهما فى الرزق أو فى الوضع الاجتماعى لسبب من الأسباب.

وعلم الشريف فكبرت عليه نفسه، وأخذته العزة بالاثم، وظل يحاول أن ينجو من حكم الشريعة الصارم الذى يسوى بينه وبين كل نفس آدمية فى الوجود، فلما يئس فر من وجه عمر، وارتد فى النهاية عن الاسلام !!

* * *

هذا هو الاسلام، لاطبقات ولا مزايا تشريعية للطبقات.

أما الثروة واختلاف الناس فيها فموضوع آخر لايجوز أن يختلط فى أذهاننا بمسألة الطبقات، مادامت لاترتب لمالكيها حقوقا تشريعية أو قضائية ليست لبقية طوائف الشعب، ومادام القانون — فى واقع الأمر لا فى عالم المثل والخيالات — يطبق بطريقة واحدة على جميع الناس.

وقد رأينا أن الملكية الزراعية لم ترتب للملاك فى الاسلام حقوقا يستعبدون بها الآخرين أو يستغلونهم ؛ وكذلك الحال فى الملكية الرأسمالية أو وجدت فى مجتمع إسلامى صحيح، خاصة والحاكم لايستمد نفوذه من تأييد طبقة الملاك، وإنما من انتخاب الشعب له وقيامه بتنفيذ شريعة الله.

يضاف إلى ذلك كله ما ذكرناه من قبل من أنه لايوجد مجتمع فى الأرض كلها قدتساوت الثروة فيه بين جميع السكان، حتى المجتمع الشيوعى الذى يقول — صادقاً أو كاذباً — إنه ألغى نظام الطبقات، وأبقى طبقة واحدة هى التى تملك وتحكم، وتفنى غيرها من الطبقات !.

الاسلام والغريزة الجنسية

للدكتور إبراهيم الراوى

بحث فى الغريزة الجنسية من الناحية العلمية
و معالجتها فى ضوء الاسلام والواقع .

الغريزة الجنسية شعور غريزى أصيل أثبته العلم الحديث كأى شعور غريزى آخر (INSTINTICAL SENTIMENT) يتأثر بعوامل خاصة ، ويزداد أو يقل ثورانه حسب شدة تأثير تلك العوامل المثيرة وإن العوامل المثيرة للغريزة الجنسية هى جميع المناظر الاغرائية المهيجة للجنس الآخر ، التى إذا ما تعرض لها الانسان ألهبت نار الغريزة الجنسية (لدى الشبان والشابات) . ومن هنا نرى بأن الرغبات الجنسية غريزة متأصلة تتوقف شدة ثورانها حسب هذه العوامل ، وإذا ما استمرت العوامل المثيرة فى إلهاب نار هذه الغريزة لدى الجنسين فلاشك أن خطرها يهدد المجتمعات الانسانية ، فحب الاحصاءات الطبية الأخيرة

أثبتت الاحصاء العالمى بأن خطر الأمراض الجنسية القادمة من الاتصالات الجنسية المتوحشة يهدد الشعوب الاباحية المكشوفة التى غزتها موجة التبرج والسفور و الاختلاط الماجن ، فى حين أن هذه الأمراض (SEXUAL DISEASES) لم يلمس منها خطر يذكر فى المناطق المحافظة وبين الشعوب الاسلامية الواعية التى هذبت أرواحها ثقافة الاسلام الراقية ، وكانت هذه الاحصاءات العالمية الأخيرة قد أظهرت بأن الانسانية لايمكن أن تتمتع بحضارة سامية تليق ببنى الانسان الشرفاء إلا إذا استعانت بمبدأ الاسلام العظيم منتج (الحضارات الانسانية الشريفة) (HONOURABLE HUMANITY SOCIABILITY) ومنبعها الوحيد فى القرن العشرين .

إن ذرة القرن العشرين وا كتشافاته واختراعاته أعلنت عجزها المطلق الصريح أمام العالم أجمع فى قيادة الأمم إلى الحضارة الحقة التى تليق بهذا العصر كعصر علم ونبوغ ، و إلا فما قيمة الذرة و بجانبها آلاف الملائين من المرضى بالأمراض الجنسية المخزية فى أرجاء الكرة الأرضية والعاطلين والمعذبين والمضطربين من بنى الانسان نتيجة ماخلفته وتخلفه الغريزة الجنسية وعوامل إثارتها من أزمات بشرية ومحن ؟ . . ، والمرأة هنا تلعب دورها الخطير فى قيادة الشعوب إلى الدنيا السوداء التى يتخبط فيها الانسان كخبط عشواء ، وهو معذب لا يجد الراحة و الاستقرار فى وسط هذا البحر الهائج بأمواجه المتلاطمة وظلامه المخيف ، إنها دنيا الغريزة الجنسية المطلقة .

فالمرأة فى هذا الميدان هى أخطر منبع لانتاج القوى الخبيثة والطاقة

المدمرة وعوامل الشر والعذاب . لذا فقدأبدع الزعيم العظيم قائد الحضارة الانسانية المثلى صلى الله عليه وسلم فى تصويرها وتعريف حقيقتها و تنبيه الأذهان إلى خطرها إذا ماتجردت لنفسها وخولت لها الصلاحية المطلقة ، فصرح هذا التصريح الخطير فى عالم الجنس و التناسليات لتسمع الشعوب أجمع بسر ما هى عليه من محن وأزمات « المرأة والشيطان لايفترقان » وكما أن انحراف المرأة عن الصواب خطر يهدد الشبان، فان انحراف الشبان أيضاً يؤدى إلى نفس الخطر فى تهديد الفتيات معرضاً إياهن إلى الانزلاق والشذوذ ، والعلم الحديث يثبت بأن كلا من المـرأة والرجل يحملان نفس الشعور الجنسى ويتأثران بعوامل إغرائية متناظرة ، خاصة وإن كلا من جهازى المراكز العصبية والاحساس والشعور و الوظائف الجنسية وجميع الأجهزة الهرمونية المشرفة على المهمات الجنسية فى تأثيرها وعملها متناظرة متشابهة فى كل من جسمى و روحى المرأة و الرجل ، وأول من اكتشف هذا التناظر التام (COMPLETE RESEMBLANCE) بين طلبات المشاعر الغريزية و الوظائف الحيوية و الاقسام التشريحية فى كل من المرأة والرجل هو الاسلام « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم . وقـل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن » . فى حين أنه كان المعروف عند الأقوام البشرية قبل ظهور الاسلام « منبع الانطلاقة العلمية الحديثة فى القرن العشرين » بأن الرجل هو الذى يطارد المرأة . ونظر الرجل إلى المرأة فيه شئ من النقيصة بالنسبة للرجل . أما نظر المرأة إلى الرجل فلا أكثر من شئ طبيعى إعتيادى لأنها امرأة . والمـرأة بالنسبة لهم مخلوق لايشابه الرجل فى

روحه ولاطباته الغريزية ، وضعفاء النفوس اليوم لايخدعون إلاأنفسهم فى خلق مبررات وهمية واهية لتغطية ما هم عليه من ضعف و وهن فى الارادة والعزيمة والوقار ، كان يقول الرجال : « العيب على النسـاء فليسترن أنفسهن » ، أو : « إنه شئ طبيعى أصبح شيئاً بسيطاً اعتادت عليه الأنظار » ، أو : « إنها نظرات بريئة لانرى فيها المرأة أكثر من زهرة أومنظراً طبيعياً جميلا » ، وتقول النساء: « إنه رجل . . . والنظر إلى الرجل لاحرج منه ، والرجل ليس بامرأة يخشى عليها من أنظـار النـاس » .

وسننتقل بكم الآن إلى مشهد جديد من مشاهـد يوم التناسليات الحديثة لنرى كيف أن المرأة لا تقل خطـراً عن الرجل فى المعركة العالمية الرهيـة التى ألهبت نارها موجات الغريزة الجنسيـة البشرية المـدمرة .

لاتعجب أبداً إذا ما علمت بأن المرأة هى التى تلاحق الشبان وتصطاد من تهواه نفسها فى الدول « المتمدنة » المكشوفة فى كثير من الأحيان ، مستخدمة سلاحها القـوى « الخداع والمراوغة » ، فتبدأ أولا بابداء إعجابها بالفتى مفاتحة إياه برغبتها الملحة إلى مصادقته « صداقة بريئة » تنتقل بعد حين إلى « صداقة جنسية سافـرة » (COMPANION SEXUAL FRIENDSHIP) .

وهكـذا تمضى الفتاة صداقتها الجديدة فى جو من السحر والسمر معظمة ومبالغة بشعورها تجاه هذا الاعجاب متنعة الفتى بأنها تحلم عن يقين بأن تكون زوجة له فى يوم من الأيام .

ويستمر نشاطها الاغرائى فى ظل الخديعة والتماكر مبالغـــة ومعظمة بصفاته المقبولة ، ومفخمة ومبجلة لشخصيته السامية المزعومة ، لاعبـــة بعقله مبعثرة لوقته محطمة لمستقبله عابثة بجيبه وماله أو مال أبيه أو نقود الدولة أو ديون أو سرقات أو خيانات ، لتحصل على مآربها و لتقضى معه وطراً من ترهات و لهو ومجون وألبسة وهدايا ، على حساب الكريم العظيم المبجل أمل المستقبل الزاهى السعيد ! ، وقبل أن يساق صاحبنا إلى الهـــاوية ، أو قبل أن يكشف كيدها تفلت من بين يديه بين اللحظة واللحظة باحثة عن جديد ليشغل محل الصاحب القديم الراحل ، وهكذا تعاد المأساة كل يوم منتقلة بين هذا و ذاك لتخدع هذا وتلعب بعقل هذا طائشة عابثة فى دنيا الغـــرام والمرح على حساب أموال وأوقات (الرجال) لتدمر نفسها والذين حولها بغير حساب ، وتقتاد نفسها على الاثم ، وطبعها على تغيير الرجال ، فتبدأ بالانتقال من هذا إلى ذاك ، وما أن عثرت على أحسن إلا وهجرت الحسن ، و بهذه الشاكلة تكون بعد حين قدعلقت فى رقبتها سلسلة طويلة من الحلقات الذهبية ، وما كل حلقة إلا وهى تمثل صديقاً من الشبان عاهدته على الزواج وعاشت معه على هذا العهد شوطاً من الزمن فأهداها حلقـــة الخطبة الذهبيـــة (BETROTHAL RING) .

هـــذا مشهد من مشاهد فتاة الحضارة العصرية المزيفة ، فتاة قرن العجائب والغرائب ، فتاة القرن العشرين المزعوم ! ؟ ... ، بنت المدنية ، عدوة الرجعية .

وهنـــا نظرية أخرى هى « الصـــوم عن الجنس الآخر يولد

مرض الكبت الجنسى » ، و لهذه النظرية عدة وجوه ، فالوجه الخاطئ هو أنه ليس كل صوم عن الجنس الآخر يولد مرض الكبت الجنسى ، لأنه إذاً كان مع الصوم جهاز العقل والارادة والتحكم هو الذى يسيطر وينظم الاحساسات و المشاعر الغـــريزية فحين ذاك لم تظهر العوارض المرضية والتغيرات الهامـــة التابعة للكبت الجنسى (SEXUAL DESTRCY) المذكور .

لذا فانه يخطئ الناس اليـــوم فى تعريف معنى الاصطلاح الطـــبى « الكبت الجنسى » فيعبرون عنه بأنه « الصوم عن الارواء الجنسى » وقداقتصر هذا المفهوم الخاطئ على العقليات الغربية والشعوب الاباحية التى قلبت كل حقيقة فى عالم الغريزة والتناسليات والاجتماع .

لايظهر الكبت الجنسى أثنـــاء الصوم عن الجنس الآخر إلا إذا توفرت عوامل خاصة أثناء فترة الصوم بمجتمعة سوية :

١ - غريزة حيوانية ثائرة منطلقة .

٢ - فقدان جهاز العقل والارادة والتحكم الذى ينظم الطابات الغريزية ويحد من شدتها وقسوة وطأتها ، فان ظهور الكبت الجنسى يتم بين فصائل الحيوانات بصورة خاصة ، عندما يكون عددالذكور أضعاف الاناث ، فيحصل التنـــافس الشديد بين الذكور على الارواء الجنسى ، ونتيجة هذا العراك الشديد على الأنثى الواحدة يعان القـــوى انتصاره ويفوز بالأنثى لنفسه ، مما يؤدى إلى الضعيف بالألم القاتل . ونتيجة ما يعانى من أثر الحرمان الجنسى والتعطش الشديد الذى اجتمع مع غريزته « الحيوانية » التى ليس هناك معها الفعل و الارادة والتحكم ، نتيجة كل

ذلك عندما تتراكم العوامل مجتمعة تتهيأ الظروف لظهور خطر الكبت الجنسى عند الحيوان الضعيف معرضة جسمه إلى الوهن والسقم ، يحصل ذلك عندما لايصل الحيوان إلى الارواء الجنسى التام و عند عدم تهيأ ظروف التطمين الجنسى الطبيعى يتعرض الحيوان إلى الاصابة بمرض « التطمين الجنسى الذاتى الشاذ » « ممارسة العادة السرية » . (ANORMAL TRANQUILLIZING) .

وليس الذكر هو الذى يصاب وحده بهذه التغيرات المرضية بل إن الأنثى أيضاً قدتصاب فى كثير من الأحيان بنفس الحالة اذا ما تعرضت لنفس الظروف اللازمة .

أما عند بنى الانسان ، فقد شوهد بأن نفس العوامل الرئيسية المذكورة « الغريزة الحيوانية الثائرة ، وفقدان جهاز الضبط والمحاكمة » قدتجتمع فى آن واحد كما اجتمعت عند المخلوقات الأخرى ، خاصة وإن المعركة الجنسية العالمية الرهيبة والصراع العنيف و المنافسة الشديدة على الارواء الجنسى بين الشعوب المتحللة قد تبلغ شدتها أضعاف ما هو قائم بين وحوش الغابات ، تلك المخلوقات القنوعة التى لا تظهر معاركها الجنسية الدامية إلا فى مواسم معينة فقط ، أماالشعوب البشرية المتوحشة فان حروبها الرهيبة على التطمين الجنسى فى ظل الصراع العنيف و المنافسة الشديدة قد تبلغ مخاوفها إلى درجة لاترى فى ظلمات الغابات ولابين صخور الجبال الوعرة ، وهى مستمرة على مدار السنة ، وأنى الانسان بين هذه المخلوقات المهددة بالانقراض والأنهيار ماهى إلاألعوبة ضعيفة الحول والقوة بين أيدى الذئاب البشرية الكاسرة ، ووسيلة مؤقتة

للتطمين الجنسى فحسب ، وسلعة رخيصة مبذولة فى الطرقات ، والاسلام العظيم لما تشرفت الكرة الأرضية بقدومه أعلنها انقلاباً خطيراً فى عالم الغرائز والجنس والتناسليات ، خالقاً الفرق الشاسع بين كل من أنثى الانسان والحيوان « وفضلنا بنى آدم على العالمين » ، فهى ربة بيت ومنشأة جيل ، ولم تخلق الغريزة الجنسية أداة العبث واللهو و الافساد (CORRUPTION) بل وسيلة لأمل سام رفيع فى خلق الروابط الزوجية والحب والسكينة النفسية والود والعطف والانجذاب ، و إقامة أركان أسرة موفقة سعيدة « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة و رحمة » ، ولانتاج الأبناء والتكاثر و دوام الفصيلة البشرية « نساؤكم حرث لكم » .

والكبت الجنسى عند بنى الانسان يظهر بكثرة إذا ماتجرد الانسان عن الصفات البشرية (HUMANITY QUALITY) . التى تميزه عن بقية المخلوقات والتى تبنى على ثلاث أسس : (العقل والارادة والادراك) فحين ذاك يتحفظ مستواه وينحط عن المستوى البشرى الذى فضله الطبيعة الالهية على العالمين بمافيه من أحياء وفضائل . فيسلك نفس السبيل الحيوانى فى حياته الجنسية معرضاً إلى كل ما يتعرض له أخوه المخلوق الأخرس ، بل و يضاهيه فى خطورة الأمر .

ولاتحدث بل وان تحدث أمثال هذه الاصابات المرضية عند من يحمل قلباً إسلامياً ينبض (بالايمان) الذى يغير أمام دقاقة طريق حياته الجنسية المتوازنة المنظمة ، والذى كادأن يكون المنبع الأوحد ليستمد بنى الانسان منه قبس النور والعقل والارادة والتحكم والادراك ، فيسمو بعقله وروحه وجسمه مستوى أرفع وحياة أنجح .

سلام على الراحلين

بقـــلم سعيد الأعظمى الندوى

فجعت بلاد الهنـــد و باكستان على السواء بحادثتين عظيمتين كان لهما أبلغ الأثر فى نفس الشعب المسلم ، ألا وهما حادثة وفاة المجاهـــد الكبير مولانا حفظ الرحمن - رحمـــه الله - سكريتير جمعية العلماء العام ، وعضو البرلمان الهندى ، ثم فاجعة وفاة العالم الربانى الـــكبير والعارف بالله الشيخ عبد القـــادر الرأى پورى رحمة الله عليه ، الذى كان علماً من أعلام الهند و باكستان ونادرة من نوادر العالم الاسلامى كله فى علم التصوف و المعرفة ، والذى أفاد منه عدد جم من المسلمين فى فن التصوف والتزكية والارشاد ، وتاب على يده عالم لايحصى ، وبايعوه على الاسلام والايمان .

توفى يوم الخميس ١٤ ربيع الأول ١٣٨٢ هـ المصادف ١٦ أغسطس ١٩٦٢ م بعد أن عانى مرضاً فى قلبه مدة ٨ سنوات .

ليست خسارة هذا الشيخ العبقرى خسارة بلاد أو دولة فقط وإنما هى خسارة العالم الاسلامى باجمعه ، فقد كان الفقيد من أقطاب الفـــكر والمعرفة ، و فى منزلة عليا من الاحسان والارشاد .

لقد كان للمغفور له أياد بيضاء نقية - لا تنسى على مر العصور - على آلاف من المسلمين فى الهند وباكستان الذين استقوا من ينبوعه الثر ، واغترفوا من بحر معرفته علم الاحسان ، واكتسبوا منه علماً غزيراً فى هذا المجال الواسع ، والجانب الحيـــوى الذى لايستغنى عنه أى إنسان يريد أن يعيش فى الدنيا عيشة العز والكرامة وينال فى الآخرة قسطاً وافراً من الراحة و رخاء البال .

أفاد منه الناس مدة طويلة تقارب خمسين عاما منذ اشتغاله فى الافادة والتزكية والارشاد ، وذلك بعد وفاة مرشده الكبير العالم الربانى الشهير المغفور له الشيخ عبد الرحيم الرأى پورى الذى عرف بعلمه الغـــزير و نظره العميق فى الاحسان والارشاد ، فكان له أتباع ومريدون فى أنحاء هذه القارة العظيمة ، وكان فقيدنا الشيخ المعروف بالرأى پورى خليفته بعد وفاته ، وأدى حق الخلافة و أثبت أنه كان هو القمين بهذا المنصب العالى والمنزلة الخطيرة .

كانت له زاوية عامرة فى قـــرية رأى پور من أعمال سهارنفور ، يؤمها كثير من كبار العلماء والمثقفين والزعماء و يقضون وقتاً طيباً فى جواره ، ويرجعون بصفقة رابحة من عنده . . أما اليـــوم فقد تولى الاشراف عليها خليفته المجاز الشيخ عبد العزيز الذى كان الشيخ قدأعلن عن خلافته منذ شهور ، ونرجو الله تعالى أن يجعل جهوده تثمر و تؤتى

أكلها كل حين ، و هكذا ستبقى تلك المأثرة العظيمة التى خلفها الشيخ الفقيد رحمه الله وراءه ، و يستمر نفعها فى المسلمين إن شاء الله تعالى .

و مما يجدر بالذكر أن أستاذنا الكبير السيد أبا الحسن على الحسنى الندوى وصديقه الشيخ الكبير مولانا محمد منظور النعمانى كليهما من كبار تلاميذ الشيخ وخلفائه .

و أسرة «البعث» إذ تبتهل إلى الله تعالى أن يتغمده بغفرانه ويسكنه فسيح جنانه توجه كلمة التعزية إلى هذين الشيخين الكبيرين وجميع خلفائه ومريديه ، وتخص برفع هذه الكلمة شقيقه وابنيه ، و ندعو الله سبحانه أن يلهمنا و إياهم الصبر والسلوان .

* * * *

أما فقيدنا الأول الجاهد الكبير المغفور له مولانا حفظ الرحمن فقوجئنا بنبأ وفاته صباح ٢ أغسطس ١٩٦٢ م ، فكان النبأ بمثابة صاعقة نزلت على المسلمين فى هذه البلاد ، و كادت القلوب لا تصدقه لولا تواتر الأخبار عن طريق الجرائد والاذاعة و وكالات الأنباء .

فوقع ما لم نكن نرجوه أن يقع بمثل هذه السرعة و فقدنا مولانا حفظ الرحمن ذلك الشجاع الباسل و الرجل الفذ الذى كانت له مواقف محمودة فى سياسة الهند ، وآراء سديدة و مآثر كثيرة لاتنسى على مر الأيام والليالى ، فله تضحيات كبيرة و جهود ضخمة فى سبيل تحرير

الوطن من أيدى الانجليز لاينساها التاريخ الهندى أبداً ، وله دفاع مجيد عن المسلمين فى الهند وكلمة حق فى وجه الحكومات و البرلمانات دون مخافة من لومة لائم ، وغير مبال بالعواقب .

إن مولانا حفظ الرحمن لم يكن رجلا سياسياً فحسب وإنما هونادرة فى جمعه بين السياسة والدين والعلم والمعرفة ، و بذلك هو خير نموذج للعالم العصرى الذى يحتاج إليه العصر الحديث ليدافع عن دينه وسياسته وعلمه فى وقت واحد .

ومع الأسف قدحرمت بلادنا من هذه الشخصية العظيمة فى حين كانت فيه أحوج إليه ، و خسر المسلمون ذلك المجاهد الجليل فى وقت كانوا فيه أشد احتياجاً إليه .

مضى مولانا حفظ الرحمن إلى رحمة الله وخلد على صفحات التاريخ مثالا رائعاً لحياة العالم الذى له علاقة بشعبه وصلة بأبناء أمته ، ولنا فى حياته عبر ودروس تستحق بكل جدارة أن نتلقاها و نقتدى آثارها .

و أخيراً إذ نتضرع إلى الله تعالى لفقيدنا أن يغفر له ذنوبه و يرفع درجاته ، ندعو من الله أن يلهم أهله وأتباعه وذويه الصبر والسلوان .

ختم خریداری

کی اطلاع گذشتہ شمارہ کے ساتھہ بذریعہ خط ان تمام حضرات کو دی جا چکی ھے جنکی مدت خریداری اگست ٦٢ ء کے پرچہ پر ختم ھوگئی ، لیکن اسکے باوجود ھم کو محض چند خریداروں کے چندے وصول ھوسکے ، باقی حضرات ابتک خاموش ھیں ؟

اب ھم نئے سال کا یہ شمارہ ان حضرات کی خدمت میں اس امید پر بھیج رھے ھیں کہ وہ اپنی خریداری ضرور جاری رکھیں گے اور اس نئے سال کا چندہ مبلغ پانچ روپئے جلد از جلد بذریعہ منی آرڈر بھیجنے کی کوشش کرینگے ۔

امید ھے کہ خریدار حضرات پوری توجہ اور ھمدردی کے ساتھہ اس مسئلہ پر غور کرکے پہلی فرصت میں ھم کو اپنے ارادہ سے مطلع فرمائینگے تاکہ ھم اس کے مطابق عمل کرین ۔

و السلام

آپ کے جواب کا منتظر

ادارہ البعث الاسلامی

الکتب خزینۃ ندوۃ العلماء لکھنؤ

محتویات العدد

المیثاق الوطنی	محمد الحسنی	١
من الاسلام إلی الجاهلیة	للأستاذ السید أبی الحسن علی الحسنی الندوی	٩
الاسلام .. ونظام الطبقات	للأستاذ محمد قطب	٢٠
الاسلام و الغریزة الجنسیة	للدکتور إبراهیم الراوی	٢٢
سلام علی الراحلین	سعید الأعظمی الندوی	٣٦

سید محمد حسنی پرنٹر پبلشر نے ندوہ پریس میں چھپوا کر ندوۃ العلماء لکھنؤ سے شائع کیا ۔